من اخبار التجار الصالحين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق الكون بما فيه ، و جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، من يضلل الله فلن تجد أحداً يهديه ، و من أفقره فلن تجد أحداً يغنيه .

نحمده سبحانه حمداً لو ارتقى إلى السماء لصار قمراً منيراً ، و لو نزل للأرض لكساها سندساً و حريراً.

و أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك ، أشهد ألا إله إلا الله ، عدد خلقه و رضا نفسه ، و زنة عرشه ، و مداد كلماته ، و أصلي و أسلم على الرحمة المهداة ، و النعمة المسداة ، رسول رب العالمين ، اللهم صل وسلم وبارك عليه ، نبي الرحمة و الحكمة و الهدى ، و العلم و البيان ، اللهم صل وسلم و بارك عليه ، زكى الله قلبه ، و زكى لسانه ، و زكى بصره ، و أثنى عليه ربه ، فقال : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧]

و قال سبحانه : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

و صدق عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، حيث قال :

فما حملت ناقة فوق ظهرها   أبر ولا أوفى ذمة من محمد

اللهم صل وسلم وبارك عليه. أما بعد :

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إخواني ، طبتم و طاب ممشاكم ، و تبوأتم من الجنة منزلاً ، و شكر الله عز و جل لإمام الجامع على ترتيب هذا اللقاء ، و شكراً لكم أنتم على الحضور ، و اسأل الله عز وجل أن يقضي حوائجنا ، و أن يرحمنا ، وأن يفتح علينا أبواب رحمته .

و إن سمعتم نقصا في هذه المحاضرة ، فالأمر طبيعي

فالنقص في أصل الطبيعة كامن   فبني الخليقة نقصهم لا ينكر

لماذا نتكلم عن أخبار التجار الصالحين ؟ عن بعض التجار المعاصرين ؟

سبب هذه المحاضرة أن المال عصب الحياة وقوامها ، و قد جاء الشرع المطهر بحفظ الضروريات الست ، و منها : المال ، كيف يكتسبه الإنسان ؟ و كيف ينفقه ؟ ، بل صارت ثلث أسئلة يوم القيامة ، ثلث الأسئلة : عن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه؟

و قد يلج الإنسان النار بالمال ، وقد يدخل الجنة بالمال ، فهو إما له ، و إما عليه. و كما نحن بحاجة لذكر بعض أخبار الصالحين ، من التجار

المعاصرين ؛ لنشر فضائلهم و الاقتداء بهم ، و إبعاد الإحباط و رفع منسوب التفاؤل بذكر بعض الشخصيات المتميزة من التجار.

لئن لم يكن في الأرض أوس و خزرج فلله أوس قادمون و خزرج

عملوا بقول الله عز وجل : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[الحشر:٩] ، حتى يكونوا قدوات لنا.

و من أسباب اختيار الموضوع أن أبواباً من الفجور ، و الفساد دخلت على الأمة الإسلامية من طريق أصحاب الأموال ، أو من بعضهم ، في نشر الربا و القنوات الفاسدة ، و نشر المواقع السيئة ، و الملابس السيئة للنساء ، فلو صلح هؤلاء ، و عرفوا حق الله عليهم ، و ما أوجب الله عليهم ، وعرفوا ما حرم الله ، و حذرناهم من إفساد نساء و شباب المسلمين ، لانكفَّ شر كبير.

ومن الأسباب أن تكون نواة هذه المحاضرة ، تكون نواة بإذن الله إما لعمل أو لهدية تهدى للتجار ، مع نصح و توجيه ؛ لنرى النماذج الرائعة التي ستسمعون بعضها بإذن الله.

عقبات في هذه المحاضرات

من العقبات التي واجهتها في هذه المحاضرة ، أنه لا توجد كتب فيما أعلم لا القديم و لا الحديث ، لجمع أخبار التجار الصالحين ، و إن كانت متفرقة ، فمنهم من يذكر من كرم إبراهيم عليه السلام ، و كفى به مثالاً.

و كذلك سليمان عليه السلام ، و النبي صلى الله عليه وسلم ، و كذلك كرم أبي بكر ، و عمر، و الزبير بن العوام ، و عدد من الصحابة و التابعين ، لكن في أمور متفرقة ، فلم أجد كتاباً أو محاضرة تجمع هذه المسائل.
فأسأل الله عز وجل أن يجعلني مفتاحاً للخير ، مغلاقاً للشر، إنه ولي ذلك و القادر عليه.

المال عصب الحياة ، بالمال يطاع الله عز وجل ، و يجتنب الإنسان معصيته .
و في هذه المحاضرة سأذكر بعض التوجيهات و الآداب ، و المواقف و القصص ، و هي كلها في خلطة سرية إن شاء الله مناسبة ، أذكرها مفرقة غير مرتبة ، حتى لا يمل السامع فأذكر خبراً ، و قصة ، و توجيهاً ، و أدباً ، و تحذيراً ، و محطة.

و استعين بالله عز وجل ، و هذا نداء إلى التجار:
أخي التاجر ، ربما تصدقت كثيراً ، لكن هل جربت الصدقة بنية الشفاء ؟
إن كنت مريضاً ، فلا تنس الصدقة ، مع مسحك لدمعة يتيم ، أو على رأسه ، أو تتبرع لوقف خيري ، أو صدقة جارية ، أو إدخال السرور على مسلم ، أو على مريض فقير محتاج ، أو أن تتكفل بعلاج أحدٍ لا يجد ما يستر به عورته . جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك رحمه الله ، و هو إمام في زمانه كما قيل :

إذا سار عبد الله بن المبارك ليلة فقد سار منها نجمها وهلالها

إذا ذكر العلماء في كل بلـــدة فهم نجـم فيها و أنت هلالها

جاء رجل لابن المبارك ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، أني قد أصبت بمرض بركبتي ، و بحثت عن العلاج ، فلم أجد . قال له : احفر بئراً للمسلمين تجد الشفاء. فأتاه بعد مدة من التعب و المرض ، فلما حفر بئراً ، وسقى المسلمون منه ، و أخذوا ، شفاه الله.

و اسمع كلام ابن القيم رحمه الله ، فهو كلام يستغرب لو صدر من غير ابن القيم ، لكن لا حظوا الكلام ماذا يقول ؟

قال : إن للصدقة تأثيراً عجيباً في دفع البلاء ولو قل. يعني : و لو كانت الصدقة قليلة تدفع البلاء ، و لو كانت من فاجر أو من ظالم ، بل من كافر . و هذا وجه الاستغراب .

ثم قال : فإن الله يدفع بها أنواعاً من البلاء. و هو أمر معلوم بين الناس خاصتهم وعامتهم ، و أهل الأرض مقرون به ؛ لأنهم جربوه. انتهى كلامه رحمه الله.

وقال : المتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح صدره ، و قد ذكرها في أسباب انشراح الصدر في (زاد المعاد). فإن من أسباب انشراح الصدر كثرة الصدقات.

فوائد الصدقة

الصدقة من أفضل الأعمال ، كما صح في الحديث الذي رواه البيهقي عن النبي صلى الله عليه وسلم : "إن من أفضل أعمالكم الصدقة".

و الصدقة تقي من البلايا و الكروب ، جاء في عدة أحاديث حسنة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن الصدقة تقي ميتة السوء" ، و يؤيد هذا أنه إذا حصل الكسوف ، فما المشروع لنا ؟

من المشروعات في العبادات : الصلاة ، الاستغفار ، التوبة ، العتق ، و الصدقات . فدل على أن الصدقة تقي مصارع السوء ، و تزيل غضب الرب عز وجل.

و جاء في حديث اخر : "داووا مرضاكم بالصدقة" ، و إن كان عدد من أهل العلم يضعفه ، لكن جرب فوجد نافعاً.

و ممن ذكر في ذلك من المحدثين : أبا عبد الله الحاكم ، ذكر أنه أصابه بعض الندوب على وجهه ، و بعض الحبوب ، فتألم منها و تضايق من وجودها في وجهه سنة كاملة ، يذهب للصالحين يدعون له ، و للأطباء ، و لم يجد علاجاً . فأشار إليه أحد الأخيار مع أنه إمام من المحدثين ، فأشار عليه بإشارة لم تخطر على باله ، فقال : لو وضعت سقاية عند باب بيتك . فلما وضع السقاية ، و شرب الناس منها ، شافاه الله.

حتى الظالم ، يدفع الله عنه العقوبة بالصدقات ، و ليس هذا إقراراً بأن يظلم الإنسان الناس و يأخذ حقوقهم ثم يتصدق . كما ذكر لأبي حنيفة عن رجل قال : أسرق عشرة دراهم ، و أتصدق بدرهم ، فيكون لي عشر حسنات ، و أخسر تسعة. هذا لا يكون ، و ليس بصحيح ، و ليس هذا إقراراً للظالم ، لكن كما قال إبراهيم النخعي ، و هو من أئمة التابعين : إن الله تعالى يدفع عن الظالم بالصدقات . و قال : يروون ، و يرون أن الصدقة تدفع عن الرجل الظلوم.

و عند الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نادى التجار ، فقال : "يا معشر التجار ، إن الشيطان و الإثم يحضران البيع ، فشوبوا بيعكم بالصدقة" .

و الصدقة تبارك المال ، و تزيد في الرزق ، و تشرح النفس ، قال الله تعالى :
{ وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ } [سبأ:٣٩].

و قال بعض أهل العلم : أنفق ما في الجيب يأتيك ما في الغيب.

و في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "يا ابن أدم أنفق ، أُنْفق عليك".

و يقول الملك في كل صباح للمنفق : (اللهم اعطِ منفقاً خلفاً ، و اعطِ ممسكاً تلفاً).

وقال الحسن البصري رحمه الله ، و هو الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء ، فيقول : من جاد بالخلف ، أو من تيقن بالخلف ، جاد بالعطية. يقصد : أن من تيقن أن الله سيخلفه ، يجود بماله.

و الجود بالنفس أقصى غاية الجود ، فإذا كان بعض الناس لا يقدم ماله ، و إن قل ، فالصحابة رضي الله عنهم قدموا دماءهم و أموالهم لله.

كلمات متفرقة

أولا..

أنفق و لا تخش إقلالا فقد قُسمت   بين الخلائق آجالٌ و أرزاق

اطمئن يا أخي الكريم ، فإنه لن تموت نفس إلا و استكملت رزقها و أجلها . فما أنفقت من المال فهو مخلوف عليك ، إن في الدنيا ، أو في الآخرة ، و ما دفعته من المال فهو رزق ساقه الله لمن دفع له ، و لو بذلت جميع ما في جيبك ، فإن الله تبارك تعالى لن يميتك حتى يعطيك جميع الرزق.

ثانياً..

للأسف ، أن تقييم الأشخاص بين الناس يكون حسب المال ، و كما قيل :

يمشي الفقير وكل شيء ضده　　و الناس تغلق دونه أبوابها[1]

و قالوا[2] :

إذا زاد فقر المرء ، قلّ محبه　　وعاداه من أضحى له في الملا أهلا

وإن زاد معه المال مال لحبه　　جميع أعاديه ، و قالوا له : أهلا

وهذا من الجناس التامِّ عند البلاغيين.

وكما قال أبو الفتح البستي :

حياك من لا ترجو تحيته　　لولا الدراهم ما حياك إنسان

ثالثا..

بالمال تستطيع أن تكسب الأصدقاء ، و تكسب الأعداء ، فكم من التجار من يعاديه أولاده ، يتمنون موته ، و هلاكه ؛ حتى يرثوه . و كم من التجار من كسب قلوب الناس بالمال ، فلو ذهب جميع أولاده ، لوجد عدداً من الناس في مقام الأولاد.

[1] ينسب للشافعي رحمه الله

[2] لابن الرومي

و بالمال تستطيع أن تكسب الأصدقاء ، و تؤثر في الآخرين ، كأن تدعوا للإسلام. و لذا ، جاء في الإسلام من أنواع الزكاة : إعطاء المؤلفة قلوبهم من الزكاة.

رابعاً ..

إن التزام التاجر ، و صاحب البضاعة بإغلاق المحلات ، و الذهاب للمسجد لهو علامة خير في فعله ذلك ، و انتصار على نفسه ، و على الشيطان. و في فعله هذا دعوة إلى الإسلام.

و قد أسلم شاب أمريكي موظف في الدمام في مكتب الجاليات في السوق ، لهذا السبب . يقول : الذي شدني للإسلام أني أشاهد من يترك الأموال بين يديه و يخرج جميع الزبائن ؛ لأجل أن يغلق المحل ، و يذهب ليصلي ثم يرجع . فهذا الذي دعاه للإسلام.

خامساً..

أسلم موظف هندوسي في شركة بسبب حسن تعامل رئيسه . و هذا الرئيس بين فترة و أخرى يقيم مسابقات للموظفين ، مسابقات ثقافية عامة ، لا ترتبط بالإسلام و لا بغيره ، إنما معلومات عامة ثقافية ، فتفاجأ هذا الموظف الهندوسي في بلادنا ، أنه أكثر من مرة يأخذ الجائزة ، جائزة

الفائز الأول . فأسلم لهذا السبب . يقول : من إنصاف هذا الرئيس المسلم ، أنه يعطيني هذه الجائزة ، و لم يستبعد إجابتي ، فأسلم بحسن التعامل من رئيسه.

سادساً ..

اختلف أهل العلم أيهما أفضل : الفقير الصابر ، أم الغني الشاكر؟
{وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا}[البقرة:١٤٨] ، فبعض أهل العلم قد رجح الأول ، و منهم من رجح الثاني . و شيخ الإسلام قال : أفضلهما أتقاهما لله.

لكن قال الشاعر:

من شرف الفقر ومن فضله   على الغنى إن صح منك النظر

أنك تعصي كي تنال الغنى   و لست تعصي لكي تفتقر

لا أحد يعصي ليكون فقيراً ، لكن يعصي الإنسان و يرتكب الربا ، و الرشوة ، و المحرمات ، و الخيانة والغش ؛ لأجل أن يغتني.

من أفضل سداد الدين و إن قل ، السداد عن الوالدين ، أو أحدهما. الإمام التابعي محمد بن سيرين كان عليه دين ، أصيب بدين ، فيقول : من أسباب وقوعي في الدين ، أني سخرت من شخص ، حصلت له مصيبة في ماله ، فأتاه الدين بعد مدة ، فقال له ابنه : أقضي دينك يا أبتي . قال : بشرط

الوفاء. أي: أوفيك المال فيما بعد. فقال الابن : نعم. فوافق ، و قضى عنه ابنه ، و دعا له بخير ، فقضى عنه ثلاثين ألف درهم.

فما مات ابنه عبد الله بن محمد بن سيرين ، حتى رزق ثلاثمائة ألف درهم ، و عند الله العوض.

فكم من الأجر في قضاء دين مسلم ، فكيف إذا كان المدين والده ، و كيف إذا كان المدين الوالد من أئمة التابعين ، محمد بن سيرين رحمه الله.

ثامناً ..

السخاء و البذل صفةٌ طيبةٌ مدحَ اللهُ عز وجل بها الصحابة ، و أكثر الناس يتناقلون كرم حاتم الطائي ، و يروق لهم الكلام حول حاتم و بعض ما قيل عنه ، ربما يكون له قصة أو قصتان محكية عنه ، و يتناقلونها ، ربما تعصباً ، أو محبة . قد يكون في الواقع عنده شيء كثير من ذلك ، و لكن الزيادات في الجاهلية كثيرة.

ولا يذكر بين الناس كرم إبراهيم عليه السلام ، و كرم أبي بكر فقد أخرج جميع ماله لله ، و كرم عمر الذي أخرج نصف ماله لله ، و كرم من الأنصار ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[الحشر:٩] . من يستطيع أن يقسم نصف ماله ، نصف زوجاته ، نصف تجارته ، نصف دوره ، و يعطيها أخاه من المهاجرين ؟ لكن لكثرة الأنصار و كرمهم ؛ تغيب هذه

المعاني عند كثير من الناس . فهو مجتمع كريم في الأعم الأغلب ، بخلاف قصة حاتم و العديد من قصصه ، فالصحابة رضي الله عنهم يكفيهم مدح الله لهم : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر:٩] .
و قال الله تعالى عن صفات أهل الجنة : ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ ، يعني : وهم يحبونه ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:٨] . و الأسير بإجماع العلماء لا يكون إلا كافراً . فلا يُعقل أنهم يطعمون الأسير المسلم بين يدي الكفار ، و يرسلون المال إليه ، ذلك أنهم لا يستطيعون ، فهو أسير لدى الكفار ، لكن الآية تُخبر أنهم يطعمون الطعام للأسير الكافر بين المسلمين.

تاسعاً ..

الوفاء خلق جميل ، يتحلّى به الكرماء من الناس.

سليمان الراجحي ، التاجر المعروف ، صاحب الجامع المشهور (جامع الراجحي) في الرياض و القصيم ، و حفر الباطن ، و في عدد من المدن.
الشيخ سليمان الراجحي له أستاذٌ اسمه (علي شاكر) شامي أو مصري ، درّسه في المراحل المتقدمة في حياته ، فحبب إليه العلم، و الدروس ، و الحفظ. أعطاه يوماً ريالاً واحداً (فقط) . ريال واحد من الأستاذ (علي

شاكر) للطالب سليمان الراجحي ، فكان له أبلغ الأثر في نفس هذا الرجل الوفي .

هم الرجال وعيب أن يقال لمن   لم يتصف بمعالي وصفهم رجل

فمنذ عام ١٣٩٣هـ و الشيخ سليمان الراجحي يضحي عن أستاذه ؛ لأجل ريال ، بل في بعض المواقف التي ذكرت عنه في الوفاء ما هوا أبعد من هذا التاريخ ، لكني أزلت عشرات السنين رغم أني نقلتها عن شخص من أهل العلم من الثقات نقلاً عن من يعرف الشيخ سليمان الراجحي ، فهو مذ عام ١٣٩٣ هـ يضحي عنه ، و يتصدق ، و يحج عنه ، و بنى عنه مساجد كثيرة ، بل كتب في وصيته لأولاده أن يستمروا على وقف الأستاذ (علي شاكر) ، و يقول: لازلت إلى اليوم أعلم أني لم أوفّه حقه.

هذه الرجولة و هذه المروءة ، فهو لم ينسى ريالاً كان سبباً لتثبيته في طلب العلم.

أخي المسلم ، لو تأملت في حال التجار من اليهود و النصارى و بعض أهل البدع في نشر باطلهم ، لرأيت عجباً ، ولا نقول إلا : اللهم إنا نعوذ بك من جلد الفاجر و عجز الثقة. يبذلون الأموال الكثيرة ، قنوات فضائية لنشر الباطل و سب أصحاب النبي ﷺ من امرأة واحدة تتكفل بجميع التكاليف لهذه القناة . بينما تجد أن بعض الأعمال الخيرية في بلادنا

يُبحث لها عن التجار ، و من أهل الخير من يريد إقامة هذه المشاريع ، و يحتاج بعض الدعم من التجار ، فلا يجد إلا عدداً لا يسدُّ هذا النقص.

و لا يكفي اولئك الداعمين للشر إقامة القنوات أو دعمها فقط ، بل يطرقون جميع أنواع الدعم في نشر باطلهم من يهود و نصارى و بعض أهل البدع من أهل الإسلام ، لكن عزاؤنا : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٣٦].

أحد عشر ..

هل بين الفقه والفقر تزواج ؟

ذكر بن خلدون في تاريخه و في دراساته الاجتماعية : أن أكثر أهل العلم من الفقراء ؛ لأن العالم و طالب العلم مشغول بالتحصيل العلمي ، بزيادة إيمانه ، و بالارتحال لأهل العلم وينشغل عن التجارة . و لا يجتمع تاجر و عالم ، إلا لو طلب العلم و حصل العلم ثم فيما بعد حصل على مال وفير ، أو إرث . فبين الفقه و الفقر ارتباط كما قال بعضهم:

قلت للفقر: أين أنت مقيم؟ قال : في عمائم الفقهاء

إن بيني و بينهم لإخـــــاء و عزيز علي فقد الإخاء

وكما قال بعضهم :

إن الفقير هو الفقيه، وإنما (راء) الفقير تجمعت أطرافها

فالفقيه : هو الفقير ، و الفقير فقيه.

أخيراً ..

في مقارنة بين المال و العلم الشرعي نجد أن :

المال أنت تحرسه ، والعلم هو الذي يحرسك.

فضل العلم أنه يدخل معك إلى قبرك ، و يستمر نفعه . بينما أن المال قد لا يدخل إلا إذا كان وقفاً ، و كم يستمر الوقف ؟ إلا وقف عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فمن ذهب للمدينة و سأل أهل الخبرة يجد عمارة كبيرة قرب الحرم ، و وهي من وقف عثمان رضي الله عنه ، من بركة ماله.

فمهما طال بالوقف الزمن سينقطع ، بخلاف العلم ، فإذا علمت أحداً ، ثم تعلم منه الناس ، ثم تخرج عليه الطلاب ، فلك الأجر إلى يوم القيامة.

المال يفني و العلم يبقى ، تدفع المال لتحصل على العلم . فإذا جاء العلم حصل المال.

المال خادم و العلم مخدوم.

لا تظنن أن المال سبب للسعادة ، فكم من غني افتقر ، و كم من غني ما نفعه ماله ، بل صار ماله وبالاً عليه ، و أبعده الله بسبب ماله ، بسبب معاصيه ، أو ربما يعاقب بخسارة ، أو بمرض ، فيذهب بجميع ماله.

من أخبار التجار

الشخصية الأولى : صالح السلمان[٣] :

من تجار بريدة في القصيم ، أذكر لكم بعض أخباره رحمه الله . فبيته مفتوح كل يوم للناس في الغداء و العشاء لا يفرق بين الأيام ، لا وقت العزاء ، و لا وقت العيد. و ما زال أولاده على هذه الطريقة ، و الرجل توفي قبل ثلاث سنوات.

في احدى المرات ، جاء أحد عماله إليه و قد وضع السفرة في الحرم المكي ، سفرة طويلة يجمع لها الفقراء و عموم الناس ، فجاء إليه أحد العمال ممن كان قد عمل عنده . فبكى ذلك العامل عنده بكاء مُرّاً ، فسأله عن السبب. قال : كنت أشتغل عندك ، و اختلست بعض الأموال ، و سرقت ، و خفت يدي على بعض الأموال ، فأنا بين يديك تائب إلى الله . و كان ذلك في العشر الأواخر من رمضان ، و الرجل قائمٌ يبكي أمامه . فقال : عفوت عنك لوجه الله ، لا أريد منك شيئاً.

فما كلٌّ يستطيع هذا الأمر ، كون الإنسان يقدر ثم يعفو يصعب ، على أن هذا الرجل قال له : اختلست منك أموالاً كثيرة ، و لم يسأله. فقال له : عفوت عنك لوجه الله ، و أفطر معه ثم ذهب.

[٣] في جمع هذه المادة وهذه أخذتها من أولاده، وجمعت قصاصات من الصحف مما جمعوها هم فيما كتب عنه من كتابات أهل العلم يعنى كأنك تقرأ عن واحد من العلماء لكثرة ما جمعوا من الكلام عنه في الصحف، من مواقف وقصص

و في مرة أخرى ، كان يسير بسيارته ، فرأى أطفال أحد الفقراء قد ركبوا صندوق السيارة ، سيارة قديمة فدعى والدهم ، فحضر و دخل عنده في المكتب ، و أعطاه قيمة سيارة جديدة . هذا مما حُفظ عنه ، و إلا فله مواقف كثيرة . و عندما هممت بالقراءة عنه و جمع أخباره ، و كأني به أقرب ما يكون للقارئ و المستمع أقرب لأخبار و قصص الشيخ عبد العزيز بن باز رحمة الله عليهم ؛ لما عنده من البذل العجيب و الكثير .

جاء مرة إلى بيته قبيل الإفطار فرأى حادثاً عند البيت ، فسأل صاحبي السيارتين . فكل منهم بدأ يتكلم عن الاخر : هذا الذي أخطأ ، و هذا الذي أخطأ . فأدخلهما إلى البيت عنده ، و أفطرا عنده وتعشيا . ثم أعطى كل واحد خمسة آلاف ريال للصلح بينهما ، و هو لا يعرفهم.

كان له مزرعة كبيرة مليئة بالأشجار ، و النخيل ، و الإبل ، مفتوحة للناس طيلة أيام السنة ،لأهل الصيد ، و البر ، و في الشتاء و الصيف ، و للمسافرين ، كلٌّ يدخل لهذه المزرعة و يعدُّ نفسه من أهلها.

اقترح عليه أحد العمال ، فقال: لو وضعنا بعض (الخيش) على التمر حتى لا تأكله العصافير ، فتتلفه قبل وقت النضج . فأجابه : دعها ، و الرازق الله. و في تلك السنة كما يقول أبنائه ومن حوله : كانت من أكثر السنوات ،

فتصدق ، و أهدى ، و أدخل أضعاف أضعافه إلى السوق ، فباعه برخص ، و هو يتعمّد البيع برخص.

و اشترى هذه المزرعة أحد كبار التجار منه ، و الناس معتادون على ذلك الرجل الكريم صالح السلمان ، معتادون على كرمه و فتحه لمزرعته كل وقت لكل قادم ، سواء أكانوا من العوائل أو من الشباب ، و كل من مر بها يدخل . فاشتراها هذا التاجر من صالح السلمان ، و الناس معتادون على التاجر الأول الكريم ، فأخذوا يطرقون بابه ؛ يريدون الدخول ، و ما كان من التاجر الجديد إلا أن أغلق عليهم الأبواب ، فكثروا عليه ، و ما احتمل هذا التاجر ، فذهب لصالح السلمان و طلب الإقالة منه ، فقال : كل ما انتفعت به من الإبل ، و ما أكلته من النخيل و الثمار لك ، و ردَّ ما شئت من المال .

من عادة هذا الرجل أن يذهب كل يوم فجراً مع أحد التجار من أصحابه لبيوت الفقراء ، يوزعون بعض الصدقات . يضع الصدقات عند الباب بيده ، و عمره قد قارب الثمانين ، يضعها عند الباب ، ثم يطرق و يذهب ، و لا يعلم به أحداً . و ربما يشاهده بعض الناس.

هذا الرجل يسابق المؤذن في المسجد ، و لو تأخر المؤذن قليلاً أذن قبله .

بعد وفاته جاء لأولاده أكثر من ٢٠٠ امرأة ، كلهن يردن عطايا من أبيهم ، فكنَّ معتادات في كل سنة يأخذن من عطاياه.

في ظهر يوم وفاته جاءه أحد موظفي الإمارة ، فقال : أني أخطأت بحق الأمير ، أو تسرعت في شيء في موقف ، فقلت كلمة ، أريد الشفاعة ، في ظهر يوم وفاته و قد توفي بعد وضوئه لصلاة المغرب ، فذهب معه للإمارة للشفاعة ، و قد أثنى عليه أمير القصيم لحسن أخلاقه و شفاعته في ذلك اليوم مع أنه مريض ، و هو لا يعرف ذاك الموظف.

جاءه أحد الشباب مرةً يطلب منه ورقة . قال هذا الشاب: إني لست ذا نسب ، و ليس عندي أقارب. و لو ذهبت لآل فلان لأتزوج منهم طالباً ابنتهم ما قبلوني ، و لن يقبلوا . و أريد منك ورقة أنك تعرفني ، و أني من معارفك .

فقال له: إذا أردت أن تذهب لهم في يوم من الأيام فأخبرني. فلما حدد الموعد ، و جاءه . ذهب معه بنفسه ، وحضر الخطبة ، بل قال : جئت أخطب لابني فلان ، و ما أردتم من المهر فهو علي . و هو لا يعرف ذلك الشاب .

السيارات التابعة لشركته وعماله جعلها وقفاً لجميع الحلقات و المراكز و الأنشطة و الحج الخيري . هذه السيارات كانت تابعة لعماله ، و في أوقات جلوس العمال في سكنهم يحرك هذه السيارات و لا تقف ، ذلك في مواسم العشر الأواخر ، و في الحج ، يجعلها وقفاً لله ، لمن أراد أن يذهب عليها ، و ليس عليه إلا أن يقدم طلباً مع تزكية من أحد المشايخ فقط ، و يذهب بالسيارة .

أحد أبنائه يقول لي : لما كنا في الرياض قبل قرابة الأربعين سنة ، يقول: لما كنت في صغري ، كان يأتينا ضيوف باستمرار ، فيقول : ليس عندنا خدم ، و هم الآن قد فتح الله عليهم ، و عندهم خدم وسائقين ، فيقول : في صغري أشاهد الشباب و من حولي يلعبون و يفرحون ، و أنا مشغول بمساعدة أمي في المطبخ و غسيل الأواني . فقلت لأبي : لو غيرنا ، يعنى لو استخففت من بعض الضيوف . فقال : يا ولدي ، اليد العليا خير من اليد السفلى.

يقول : بعد هذه الكلمة ، و قد كانت كلمة خرجت من القلب ، من قلب كريم يعي ما يقول . فيقول : بعدها ، و الله ما تضايقت من أي شخص بعدها من ذلك اليوم إلى زيارتي له قبل سنتين. فرحمة الله عليه .

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم وعاش قوم وهم في الناس أموات

من الدروس المستفادة :

أن الدنيا كانت في أيدي الصحابة ، أما نحن : فالدنيا في قلوبنا ، و الصحابة لما تعارض عندهم مراد الله و مراد النفس و محبة البقاء في البلد ، قال ابن القيم في (الميمية) في ذكر الجنة و الشوق للصحابة و ذكر حال الغرباء :

وَقدْ فارَقوا الأوطانَ والأهلَ رغبةً ولم يُثنِهِمْ لذَّاتُهُمْ و التَّنَعُّمُ

فالصحابة ﷺ كانت الدنيا بأيديهم وحب الله في قلوبهم ، فتركوا الدنيا لله ، و بيننا وبين الصحابة شبر ، كيف ذلك ؟

ذلك أنهم يبحثون عن ما يصلح قلوبهم ، و نحن نبحث عما يغذي بطوننا.

و من الدروس :

أيها المحتاج ، لا تبذل ماء وجهك إلا عند ذي مروءة ، كما قيل :

ولابُدَّ من شَكْوَى إِلى ذي مُروءَةٍ يُوَاسِيكَ أَوْ يُسْلِيكَ أو يَتَوَجَّع

وإذا قصدت لحاجة فاقصد لمعرفة بفضلك.

و يا أيها التاجر، يا أيها الغني ، اعلم أنك مسكين ضعيف فقير محتاج إلى ربك، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[فاطر:١٥] . لا تغتر بمالك ، و لا بصحتك ، و لا بشبابك ، فقد

يفتقر الغني في لحظة . و كما كان بعض الناس يُطرق بابه لجمع الزكاة منه ، ثم بعد حين و إذ به يأخذ الزكاة من الناس.

لا تحسَبَنَّ سُروراً دائماً أبَداً   مَنْ سَرَّهُ زمَنٌ ساءتْهُ أزمانُ

التعفف صفة مدح ، قال الشاعر :

لا تسألن بُنيَّ آدم حاجةً   و سل الذي أبوابه لا تُحجبُ

اللهُ يغضبُ إن تركتَ سؤاله   و بُنَيَّ آدم حينَ يُسألُ يغضبُ

بل لو سُئل الناس التراب ، لو أن أحدنا طرق كل يومٍ الباب على أقاربه و جيرانه ، قال : أعطوني كفّاً من تراب ، و هذا مقدار قليل من التراب ، لملَّوا منه. كما قيل :

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا   إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

من المشاريع و المقترحات للتجار للنفع العام :

لست أذكر مشاريع كثيرة ، إنما أتطرق إلى هذه المشاريع بإشارات ، فمنها :

تزويج الشباب :

عدد من التجار يتبادر لذهنه مباشرة بناء مسجد ، و أكرم به من مشروع ، بناء المسجد ، و تفطير الصائمين في رمضان ، مبردات المياه عند باب المسجد ، لكن هناك ما يلزم أن يسأل عنه التاجرُ أهلَ العلم بحثاً عن أبواب الخير ؛ لأنه قد يتراءى له شيءٌ مناسب في نظره ، لكن يخفى عليه أشياء .

شراء المساكن للأرامل والمطلقات :

ليرغب بهن الأزواج ، و قد كان يفعل ذلك سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمة الله عليه لما كان قاضياً في الخرج ، و هو دون الثلاثين من عمره ، كان عمره ثمان وعشرين عندما تعين قاضياً في الخرج ، فكانت هذه فكرته ، أن أي امرأة مطلقة ، أو أرملة ، يشتري لها مسكناً بتمويل من التجار ، و مما يبذله من ماله ، حتى يرغب بها الخطاب ، كذلك وضع الأوقاف المتنوعة و تعديل بعض الأوقاف و بعض الوصايا .

أحد المشايخ يخبرني أنه شارك في ندوة في إذاعة القرآن حول ما يتعلق بأهمية الوقف ، فضله ، و أحكامه . فيقول: بعد نهاية الحلقة جاءنا قرابة الألف اتصال للشيخين و للإذاعة . قرابة الألف اتصال في تعديل وصايا ، و أوقاف من عدد من التجار ، لكن فيما أعلم أنه لا يُعرف عبر التاريخ رجلاً يدفع من ماله فيحج على حسابه عشرة آلاف شخص سنوياً ، هل تعرفون أحداً يفعل ذلك ؟

أتمنى أن يعرف في التاريخ ، حتى هارون الرشيد ، و لا تقارن بين حكام دول ، حيث كان هارون الرشيد يجلس و يشاهد السحاب ، فيقول : أمطري حيث شئتي ، فإن خراجك سيأتيني ولو بعد حين . لاتساع رقعة ملكه ، كان يحج عاماً و يغزو عاماً ، حتى يقول بعضهم:

فمن يطلب لقاءكَ أو يُرده   فبالحرمين أو أقصى الثغورِ

فإما أن يكون حاجاً ، أو مجاهداً ، هذا هارون الرشيد.

فلا تذكر لي حاكم دولة ، أو حاكم الدولة العباسية ، و هي من أكبر الدول التي مرت في العالم ، و كان لها كثير من الدول . أنا أتكلم عن أفراد ، عشرة آلاف حاج يحج سنوياً على نفقة صالح الراجحي .

يملك صالح الراجحي أكبر مزرعة نخيل في العالم ، و قد دخلت موسوعة (جينيس) ، جعلها وقفاً للتوزيع في الحرم المكي .

اعتنى و أنفق على طباعة الكتب و توزيعها على طلاب العلم ، و المساجد ، و المحتاجين من طلاب العلم . و تباع هذه الكتب بسعر مخفض يستطيعه عدد كبير من الناس ، أضف إلى ذلك بناء المساجد ، سداد ديون السجناء ، تزويج الشباب ، حتى صارت أعماله الخيرية كبيرة و كثيرة و متنوعة ، فله في كل باب من أبواب الخير سهم ، وله أكبر وقف في التاريخ فيما أعلم ، فوقفه كلف قرابة المليار ، رحمة الله عليه .

صالح الراجحي رجلٌ مرتب ، محافظ على وقته ، يدير أعماله بنفسه ، متواضع ، و رغم ذلك فإنه لا يأنف أن يبين في سيرته ، و له ألبوم أصدر يتحدث عن حياته . لا يأنف أن يقول : كنت حمالاً في سوق الخضار ، ولا يقول : إنما أوتيته على علم عندي ، لكنه يقول : هذا من فضل ربي.

ومن ميز هذا الرجل : أنه ليس له دعم لقنوات الفساد ، و لا لمراقص ، و لا للدجل ، بل كل مشاريعه تعود على النفع للبلاد ، و يصدقُ فيه :

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد شهم يموت لموته خلق كثير

الشيخ جمعة الماجد

من الشخصيات المرموقة من التجار الشيخ جمعة الماجد ، من تجار دولة الإمارات . هذا الرجل أنشأ كلية للدراسات الإسلامية ، فكان هو الذي يدفع الأموال و المكافآت للطلاب ؛ حتى يتعلموا العلوم الشرعية ؛ فيتولوا التدريس و الخطابة في الإمارات.

و هو صاحب مركز جمعه لجمع التراث الإسلامي و ترميم المخطوطات و جمعها و المحافظة على الكتب . نال هذا الرجل جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام . و له بيت يضم خمسة آلاف يتيم و فقير ، كلهم ينفق عليهم .

الحاجة زبيدة من بلاد المغرب

من الشخصيات التي لا نعرفها ، لكن يخبرني زوج ابنتها ، فيقول : الحاجة زبيدة من ذوات الأموال في بلاد المغرب ، بيتها كبير جداً ، فجعلت هذا البيت وقفاً لمرضى السرطان في فترة النقاهة ، يتعالجون ، و يأكلون ، و يشربون ، و تغدق عليهم الأموال ، كل ذلك على نفقتها . و جزء من البيت المذكور خصصته لتعليم الفتيات و الشباب القرآن الكريم .

تذهب هذه المرأة كل أسبوع لدار العجزة ، و تعطيهم الفواكه ، و المواد الغذائية ، و الأموال .

تعتكف كل سنة في الحرم المكي ، فتأتي معها بالأموال الكثيرة للصدقات ، و تجاور حتى نهاية الست من شوال ، و تقضي أغلب وقتها في الحرم في التعبد ، وتقول: أخشى أني أشاهد حراماً في شهر رمضان. و يصدُقُ فيها قول الشاعر :

فلو كان النساء كمن ذكرنا   لفضلت النساء على الرجال

أخبار متفرقة لعدد من التجار

تاجر أعرفه توفي رحمه الله ، أخبرني ابنه : أنه يضحي كل عام عن إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله ، و يضحي هذا الرجل أيضاً عن عدد من أهل العلم .

و كان هذا التاجر يغضب إذا نقل له في مجلسه أي خبر مزعج أو مؤذي عن طالب علم ، يقول: هم نور البلد ، هم مشايخنا .

و هذا الرجل متدين ، و من أهل الخير ، بل يصنف من المشايخ في تجارته ، و حُسن أخلاقه ، و عبادته ، وقد حصل له انكسار أكثر من مرة في تجارته.

كان باراً بأمه ، ينقلها معه أين حلّ ، ذهب للرياض فأخذها معه ، و الكويت فأخذها ، ثم عاد للرياض ، ثم القصيم .

عميت اخر عمرها ، و كان أول ما يأتي إليها يقبل رأسها و يدها ، و يرفع قدمها و يقبل باطن قدمها . يقول ابنه : و كان قد تزوج زوجتين ، و معه أولاده ، و أمام زوجاته و أولاده كان يقبل قدم أمه . فيخبرني ابنه يقول : الله أعلم أن تجارته و البركة في ماله أنه بقضاء أشياء كثيرة من حاجات طلاب العلم و الفقراء في منطقته ، رغم الخسائر التي مرت عليه ، و أكثر من خسارة عانى منها : انكسار في سوق الإبل ، و في الغنم ، و في السيارات ، و في المساهمات ، لكن انتهت . و يقول: الله أعلم أن بركة ماله لبره بأمه.

تاجر آخر

بعض التجار أقام ملتقى أو منتدى يلتقي فيه العلماء و طلاب العلم ، و المثقفون ، و الأدباء الإسلاميون ، ومن نحى نحوهم ، و يكون هذا الملتقى لاستضافة المشايخ . و هذه من الأعمال الخيرية التي صدرت من خلالها كتب و محاضرات نافعة .

و تاجر آخر

أحد التجار يقيم إفطاراً جماعياً كل سنة في صالة أفراح كبيرة لطلاب و طالبت دور الرعاية الاجتماعية من الأيتام و اللقطاء ، و قد شاركت معهم

سنة ، فرأيته يستقبلهم كأنهم أولاده ، و يدعو عدداً من المشايخ و الوجهاء و التجار . كأنه حفل كامل ، حفل إفطار ، يحرص فيه أن يفرق التجار و المشايخ و طلاب العلم و أصحابه ، يفرقهم على جلسات هؤلاء الأيتام و الصغار ، فيجلس كل شخص مع عدد من الأيتام ، يفطر معهم ، و يمازحهم . نسأل الله أن يبارك له في ماله .

التاجر سعيد بن لوتاه من الإمارات

التاجر سعيد بن لوتاه من كبار السن ، من تجار الإمارات ، يمتلك (بنك دبي الإسلامي) . وفّر المساكن الرخيصة في وقت الغلاء ، انشأ مكتب تربية و تعليم إسلامي يخرّج الطلاب دون العشرين مؤهلين للتدريس الجامعي . و هذا من حرصه على نشر الدعوة و الخير .

أخبرني بعض التجار أنه ذهب إليه بشأن مشروع خيري ، يقول : سلمت عليه بعد الصلاة . فقال : انتظر قليلاً ، حتى أنهي الأذكار ، فانتهى من الأذكار . فلما أردت أن أقوم إليه و أسلم عليه ، قام و صلى ركعتين و أطال في الصلاة . فيقول : أخبرته بما عندي من مشروع يتعلق بمسابقة قرآنية في رمضان . فأعطاه ما أراد . و هذا الرجل مهما طلب منه الناس ، كل من يدخل عليه في مكتبه يخرج بشيء منه ، ولو بخمسمائة ريال ، أيّاً كان الداخل عليه.

تعرض لحادث قبل مدة ، و من شاهد السيارة ظن أنه قد مات ، لكن الله ﷻ أنجاه . و لعله بدعوات الفقراء و المحتاجين .

دُعي هذا الرجل لنيل جائزة البر في منطقته ، و عند تكريمه سأله القائمون عن هذا الحفل أن يتكلم عن أعماله ، فقال : ما عملت من أعمال هذا الأمر بيني بين ربي ، أما ما ظهر لكم فإن أردتم أن تتكلموا عنه ، فتكلموا.

تاجر آخر

هذا التاجر يدفع الأموال الكثيرة لإخراج السجناء ، ممن عليه ديون بحق ، لا المتلاعبين بأموال الناس . فيخبرني وكيلٌ من وكلائه في الأعمال الخيرية ، يقول : يدفع لبعضهم ثلاثمائة ألف ريال دفعة واحدة ، إذا تأكد أنه أصيب بضرر أو جائحة . و إذا كان الدين على امرأة ، أو أرملة ، أو مطلقة ، لا يتردد أبداً في دفع المال ، مهما بلغ . و يتكفل سنوياً بتكاليف ثمانمائة حاج .

تاجر آخر

من كبار السن ، محافظ على الصلاة ، و بعض هؤلاء التجار من الأحياء .
لذا ، لم أسمِّ عدداً منهم ، و لا يحتاج أن نسمي ، إلا من مات ، رحم الله من مات ، و بارك في من بقي لنفع الإسلام و المسلمين.

فهذا التاجر بيني وبينه زوج ابنته ، فهو من يروي عنه ، و هو أحد المشايخ. هو وكيله في المال و الأعمال الخيرية ، فيخبرني عن بعض أخباره و هو رجلٌ كبير بالسن ، و ما زال موجوداً ، محافظ على الصلاة ، لا يجد رجلاً محتاجاً من عائلته إلا أعطاه المال .

أحد أبناء عمه كان قد شارك بتجارة مع عدد من الأشخاص فخسر ثمانية ملايين ريال ، فدخل في حصة ابن عمه ، و سدد الديون التي عليه ، و اشترى الشركة كاملة ، و جعله رئيس الشركة ، و سلمه المال ، و أعطاه الصلاحيات الكاملة ، و خصص له راتباً شهرياً حتى انتهض و سدد ما عليه .

من أعماله : الحج السنوي لجميع أفراد عائلته من الرجال و النساء ، و لا يمكن أن يوجد أحدٌ من أقاربه ، إلا وقد حج على حسابه ، و لو كانوا أغنياء. فيختار لهم أحسن الحملات ، بل في سنة من السنوات بحثوا عن أحد منهم يريد الحج فلم يجدوا أحداً من أقاربه. و هذه البركة ، لأن بعض الناس يكرم الأبعد ، و لا يعرف ، و لا ينتبه لأقاربه و لا لأولادهم.

و من أعماله : برنامج تجاري ، لتشغيل بعض شباب أقاربه ، يعملون لديه في شركاته ، و يعطيهم من الأموال ، و يربيهم ، و يشتد عليهم أحياناً ؛ لتخريجهم تجاراً أقوياء ، و لم يكن لينقطع عن ذلك طيلة تجارته ، فإذا انتهض الشاب ، و وصل إلى مرحلة الزواج ، استأجر ، أو اشترى له بيتاً . هذه غرائب لمن سمعها ، كأنه خيالات ، لكن يوجد من هذه الشخصيات. فإذا انتهضت حال الشاب من أقاربه أعطاه بيتاً إما بالتمليك ، أو إجارة ، ثم زوجه.

و هذا الرجل قد خسر قبل عشرين سنة قرابة الخمسين مليون ريال ، و لم يتأثر ، أو يتغير على أقاربه ، استمر في خيراته ، و استقباله الناس ، و تعامله معهم ، و لم يذعن ، أو يضعف ، و لم يستكن لهذه المصيبة .

و أخبره أحد الأكابر ، فقال : إن الملك فهد رحمه الله يقول : لو أن فلاناً زارنا وسلم علينا ، و طلب سداد الديون ، لسددت عنه جميع ديونه. فقال : لا ، إنما أتوكل على الله ، و الغني هو الله عز وجل. و كان يقول : إن بعد الظلام نوراً ، أو مصباحاً. يردد هذا الكلام كثيراً ، ذلك في وقت وقوع الكارثة عليه ، فما هي إلا خمس سنوات ، حتى عاد كما كان.

يدفع الزكاة و مثلها معها ؛ خشية من وقوع شبهة في ماله ، مع أن تجارته كلها نقية . استغنى بالله عز وجل ، فأغناه الله عن الخلق.

توفي تاجر من زملاء هذا التاجر الذي ما زلنا في قصة . فاختصم أولاد التاجر المتوفى ، و هما من زوجتين. اختصموا على التركات و الميراث و الشركات . فدخل بينهم بصلح ، و أعطى أبناء الزوجة الأولى كل ما يريدون لله ، وفي الله ، و لم يأخذ منهم مقابل. و أعطى أبناء الزوجة الثانية كذلك ، حتى صلحت أحوالهم ، ثم تركهم . و هذا الرجل بحق ، يصدقُ فيه قول الشاعر :

هُم الرِّجالُ وغَبْنٌ أن يُقال لِمَن لَمْ يَتَّصِفْ بِمَعَانِي وَصْفِهِم رَجُلُ

تحذيرات

أذكر بعض التحذيرات السريعة للتجار ، و لم سار مسيرهم ، عسى الله أن ينفع بها :

أولاً : احذر أيها التاجر من تأخير الزكاة فإنها فريضة الله ، و ليس لك منة على الله ، فالمنة من الله عليك ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:٣٤].

ثانياً : احذر من المماطلة في الديون ، أو عدم السداد ؛ فإنه يغفر للشهيد في سبيل الله كل شيء ، إلا الدين.

ثالثاً : احذر من تأخير الصلاة ، أو اللهو في الدنيا ؛ فإن الله عز وجل يقول: ﴿ لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون:٩] ، و قال مادحاً أهل النور في سورة النور: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور:٣٧] .

رابعاً : احذر أخي الكريم من تأخير رواتب عمالك ، فالضعيف المسكين العامل جاء إليك لهذه البلاد أو لبلدك في أي بلد كنت ، جاء على شرط ، و المسلمون على شروطهم . فالضعيف المسكين ينفق هذا المال على أم ضعيفة تنتظره ، أو على أولاد محتاجين لعطفه ، لكن رضوا بالبعد عنه بإرساله هذا المال ، و لا تنسَ قول النبي ﷺ : " أعط الأجير أجره قبل أن يجف عرقه".

خامساً : يا أيها التاجر ، احذر من التكبر و العجب ، و الكبر و الغرور ، قال الراجز :

واجتنب الغيبةَ إن الغيبةْ   منها النجاة سهلةٌ قريبةْ

والكِبْرَ إن الكِبْر كان سببا   لطرد إبليس إذْ إبليس أبَى

فما الذي أهلك قارون سوى التكبر : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [القصص:٧٦] ، والذي طرد إبليس من رحمة الله هو الكبر.

سادساً : احذر أن تفسد بنات المسلمين وشبابهم بتجارة محرمة ، من خلال بضائع ، أو ملابس ، و نحوها . و احذر أن تفرق بين أبنائك ، كما كان أحدهم يعطى و يكرم ابنه ؛ لأنه من أبناء الزوجة الجديدة ، بينما يمنع الأول ؛ لأنه من أبناء الأولى . و كما حدث لأحدهم ، كان يعطيه ؛ لأنه قريب ، و يخدمه ، في حين أن الآخر لا يعطيه ، بل يمنعه و يقمعه ؛ لأنه من ابن الزوجة المسكينة الأولى ، و هذا النوع من أنواع التفرقة سبب في القطيعة ، فلا تسبب القطيعة بين أولادك .

سابعاً : يا أيها التاجر ، إياك و البخل ، و أي داء أدوأ من البخل!

(البخيل فقير لا يؤجر) كما قال بن القيم رحمه الله ، بمعنى أن الإنسان لو كان فقيراً ، لاحتسب الأجر . يؤجر إذا احتسب الأجر عند الله و صبر ، لكن إذا كان غنياً و بخيلاً ، مقتّراً على نفسه ، كما يقال في الأمثال عند العرب في التعبير عن الشيء القليل : (لا يخرج الشيء ، إلا كما يخرج در الأرنب) ، أو (كما يشرب الضب الماء) ، أو (إذا اجتمع التمساح أو الحوت و الضب) أو (إذا شاب رأس الغراب) ، فهذه من الأمثلة التي تصدق على البخيل.

و بعضهم لا يخرج ريالاً ، إلا و روحه تخرج معه ، و تتابعه. نسأل الله العافية . فالبخل مرض ، و بعض الناس يزين له سوء عمله ، يظن أنه من

باب حبك الأمور و ضبطها ، و ربطها و تربية أولاده ، و تربية من معه ، و هو في الواقع بخيل ، لكن لو كان الإنسان يريد أن يبذل في رياء و سمعة و مظاهر ، و تحت الأضواء وتغطيات القنوات ، و يقابل بشكر سمو الأمير و شكره الشيخ فلان ، و شكر العلماء ، لبذل لأجل ذلك الأموال . و في الواقع في بيته شديد ، و لا يخرج النفقة على أولاده .

و يحلف أحد المشايخ بالله أنه يعطي من الزكاة لبعض أولاد أحد أكابر التجار في بلده . فإذا كان هذا حاله ، مسكين يركب سيارة لا تليق بمثله من باب البخل ، ليس زهداً. فلو بذل لجميع الناس الصدقات ، و يعامل الناس بأريحية و كرم ، و هو يقتر على نفسه فقط ، نقول أنه زاهدٌ و الحالة هذه ، لكنه حقيقةً ليس بزاهد ، إنما هو البخل. فالبخيل فقير لا يؤجر ، بغيض لأهله ، بغيض للناس ، يتمنون فراقه ، يفرحون بموته ، يتمنون مرضه ، و يتمنون متى يكتب الوصية . فأكرم الناس بمالك و كلامك و حالك ، و تمثّل قول الشاعر :

لا خيل عندك تهديها ولا مال   فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

ثامناً : لا تمنع أولادك من حقوقهم و نفقتهم ، فيرجون وفاتك ، و ينتظرون فراقك ليرثوا مالك.

تاسعاً : لا تُحمّل موظفيك ما لا يطيقون ، ولا تكلفهم ما يعجزهم.

عاشراً : احذر أن تأتي بعمالة غير مسلمة ، فإن فعلت ، فاستغل وجودهم واربط عمالك بمكاتب الدعوة ، و أحضر لهم الدعاة. فو الله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً ، خير لك من حمر النعم.

الحادي عشر: احذر من بيع الدخان ، و المجلات الفاسدة المفسدة ، و الكتب الساقطة ، و الروايات المضلة ؛ فهي من أخبث التجارات ، و لا تنظر إلى من هلك كيف هلك ، و لكن انظر إلى من نجا كيف نجا. ﴿ و لو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء ﴾، فالعبرة بالبركة ، لا بكثرة المال.

الثاني عشر : احذر أن تنشّئ أولادك على الترف و النعيم و التنعم و الرخاوة ، أو تجلب لهم ما يضعف دينهم ، أو يفسد أخلاقهم . فأنت المسئول عنهم ، و لن ينفعك إلا ولد صالح يدعو لك ، و لا بارك الله بعد العرض في المال .

الثالث عشر : احذر أن تأذن لأبنائك بالسفر للمحرمات بحجة أنهم من آل فلان ، أبناء التاجر فلان ، ما يقول الناس عنا لو علموا أنّا نقضي

إجازتنا في مكة و المدينة ؟ فهذه نفسية بعض الناس .و جُلّ اهتمامهم : ماذا يقول الناس عنا لو كان زواجنا في قصر أفراح تكلفته عشرين ألفاً ؟ لابد أن يكون في فندق بمائة ألف ، و هكذا . فبعضهم يكلف نفسه آصاراً و أغلالاً ما أمر الله بها ، و لو أمر الله بالزواج . فهذه التكاليف لو أمر الله بها لبحثوا عن فتاوى شاذة ، و بحثوا عن من يرخص لهم من أهل العلم . فلله الحمد أن ديننا ليس فيه تكلف .

الرابع عشر : يا أيها التاجر ، إياك أن تكون داعماً لقنوات سيئة ، أو راعياً رسمياً لبرنامج فيه إفساد لبلدك و أبناء مجتمعك

فلا تدفع بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

الخامس عشر : يا أيها التاجر ، لا تجعل بينك و بين الفقير و المسكين و الأرملة و الضعيف ، و حتى طالب العلم و الشيخ ، و الجمعيات الخيرية ، لا تجعل بينهم وبينك حواجز من الموظفين . فقد ينقطع عنك الكثير من الخير بسببك ؛ لأنك وضعت حاجباً شديداً.

أخبار أخرى

من الأخبار ما ذكره الشيخ محمد المختار الشنقيطي ، الفقيه العالم ، المدرس في الحرم النبوي ، وعضو هيئة كبار العلماء وفقه الله وحفظه ، أنه قال عن والده رحمة الله عليه ، وهو من العلماء ، و إن كان ليس من التجار ، أنما عنده مزرعة ، فهذه مناسبة ذكره. يقول ابنه : لا يأتي نصف الشهر إلا و قد اقترض ديوناً للصدقات ؛ لأنه وجيه ، و يأتي إليه الناس لتفريج الكروب.

و يذكر مرة : أنه أتى بعامل لحفر بئر في المزرعة ، و كلف هذا الحفر مائة ألف ريال ، و لم يجد الماء. فجاء العامل أو المسئول عن الحفر فبدأ يمهد لوالد الشيخ محمد ، يكلمه عن الصبر على المصائب ، يمهد له أنه ما خرج الماء ، فقال: لا تزيد الكلام ، والله لو ذهبت جميع أموالي إني راض عن الله ، وأني محب لله ، فيكفينا هذا الرضا عن الله عز وجل.

و يقول الشيخ محمد : و كان يوصيني كثيراً أن أتصدق بتمر هذه المزرعة ، و لا يبقي فيها إلا ما يبيعه لإصلاح المزرعة ، و لا يبقي شيئاً . أما باقي التمر ، فللصدقات.

من نفع الصدقة ، أن أحد الأشخاص مرض و هو صغير ، و كان والده يحبه حباً شديداً ، و يدعو له في قيام الليل و يبكي و يتأثر له . فزاره يوماً ما أحد العلماء ، و قال له : لو تصدقت .

يقول الرجل : خرجت بصدقة معي ، فخرجت بنصف ما عندي في البيت ، و أحداث هذه القصة هذه قبل أكثر من خمسين سنة تقريباً ، و لم يكونوا يملكون إلا القليل ، لكن كما يقال : سبق درهم مائة ألف درهم .

فأخرج نصف ما في البيت ، و هو فقير ، يقول: وزعته ، و عدت للبيت ، و كان الولد لا يمشي ، يعاني من إعاقة أو مرض مفاجئ ، يقول : لما طرقت الباب فإذا بالولد هو الذي يفتح لي بفضل الله عز وجل و رحمته.

ذكر الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله قصة له في (الذكريات) ، تحدث عن نفيه ، و قد عاش مأساة مدةَ رمضان كاملاً و عيد الفطر ، بعيداً عن زوجته و أولاده ، ترك الشام و ذهب لإندونيسيا . و فيها قصة تتعلق بالصدقة .

و في (الذكريات) للطنطاوي عن أحد شيوخ الشام : أنه كان كثير الصدقات ، و لربما قابل الفقير في شدة البرد فيخلع ردائه و ما عليه من ثياب الشتاء فيعطيه للفقير. و هذه القصة تبين كثرة صدقاته ، يقول :

و مرة في عصر أحد أيام رمضان ، جلس ينتظر الإفطار ، و بدأت زوجته تعد الأكلات و تجمع له عددا منها ، و في أثناء جمعها و وضعها للطعام طرق عليه فقير، فاستغل غفلة من زوجته و تصدق بجميع الإفطار عليه ، و ذهب بالإفطار ذلك الفقير إلى بيته . ثم دخلت زوجته ، و قالت : والله ما أبقى معك ، و الحياة ما تنفع معك ، و بدأت تؤنبه ، و تتكلم عليه، و هو ساكت ، فما مرت عليه نصف ساعة ، كما يقول الشيخ ، حتى طرق عليه في بيته من بعض الخدم ، من خدم أحد الكبراء ، مُقبلاً بأنواع من الطعام و الحلويات ، و يسألهم : أهذا بيت الشيخ فلان ؟ قال : نعم. قال الخادم : تفضل ، هذه هدية لك . قال الشيخ : أيش السبب؟ قال : أن ذاك الرجل الكبير ، أو الرجل الوجيه عزم عدداً من الأشخاص فتأخروا عليه ، وغضب منهم ، وقال : والله لا يأكله إلا الشيخ فلان . و هذا من غير علم بهذه الصدقة ، فالله عز وجل أعطا ه، و ما عند الله خير وأبقى .

همسة

أيها التاجر ، إذا جاءك صاحب الحاجة ، فأشعره أنك أنت صاحب الحاجة ، و له الفضل مجيئه إليك ، و لا تشعره بنقص حاله . و هذا من التواضع.

لا تمُن بمالك على المشايخ ، و لا الجمعيات ، فاحمد ربك ، المنة لله ، ثم لهؤلاء المشايخ و الجمعيات الخيرية ؛ أنهم مكنوا هذه الجمعية من استقبال مالك ، فإن لم يأخذوا هذا المال ، فمن يتولى توزيع هذه الزكوات والصدقات ؟

من المسائل الفقهية التي يشير إليها بعض أهل العلم و لا يعلم عنها كثير من التجار : أن التاجر إذا كان عنده مال لتوزيعه كزكاة مثلاً ، فيجب عليه أن يفرغ شخصاً من عماله ، أو من الجمعيات الخيرية غير العاملين عليها . و تفريغه لأحد عماله أو من الجمعيات الخيرية ، و يعطيهم مكافئات لاستقبال الزكاة و حسابها و تفريقها ؛ لأنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . فليس له منة أبداً ، فالمنة لله ، ثم للجمعيات الخيرية .

روى بن حبان في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال : **"صنائع المعروف تقي مصارع السوء و الآفات و الهلكات"** ، و قال عبد الله بن عباس: من مشى بحاجة أخيه فله بكل خطوة صدقة . و ذلك حتى لو لم يتم الأمر ، و كذلك لو شفعت شفاعة طيبة بوجاهتك . و عن جاهه ماذا عمل به ؟

لو ردت هذه الشفاعة ، فما علي أن أسعى ، و ليس علي إدراك النجاح . و إذا كان الله قد غفر لبغي من بني إسرائيل أن سقت كلباً ، فكيف بمسلم سقى مسلماً على عطش ؟ ، أو كساه على عري ، أو شفع له عند وجيه فسدد له جميع ديونه .

أخبار متفرقة

تاجر يوزع في نهاية اليوم كل ما بقي من محله (الخضار و الفواكه) ، كل ما بقي في نهاية اليوم ، أي : الساعة العاشرة و النصف ، أو الحادية عشرة ، لا يغلق المحل إلا و قد أخلاه بالتوزيع ، فيقف عند محله عدداً من الفقراء.

رُئي تاجر مصري من المحسنين أهل الخير قرب المسجد النبوي يوزع الصدقات ، فمن باب الفضول سأله أحدهم ، اقترب منه ، و قد استلطفه

و لمس منه التواضع ، فسأله عن سر توزيعه للصدقات الكثيرة قرب الحرم ، فقال : ولله الحمد ، سنوياً آتي بزكاتي و صدقاتي ، أوزعها على فقراء حرم المدينة ، و أحياناً في مكة . و يكمل فيقول : لا أعود ،حتى يضاعف الله عز و جل تجارتي .

وقف شابٌ عند جهاز الصراف لأخذ راتبه البالغ خمسة آلاف ريال. فرأى أرملة عند الصراف واقفة شكت له الحال و الضعف ، فتحرك الإيمان في قلبه ، و أعطاها كل ما يملك، جميع راتبه. و بعد يومين ، جلس مع بعض التجار في مكتب عقار ، و كانوا يتبايعون ، و من ميزة بعض تجار العقار و هو عمل طيب أخذوها من قوله تعالى : ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى﴾ [النساء:٨] فمن عادة العقاريين أنهم إذا اجتمعوا و زارهم أحد و تبايعوا ، فإنهم يتقاسمون مع الجلوس سعي تلك الصفقة ، هذا من المروءة و حسن الأخلاق ، و له أصل في الشرع . فكان ذلك الشاب جالساً معهم ، مجرد زيارة ، لا يريد منهم شيء ، لا جزاءً و لا شكوراً ، فتمت لهم بيعة طيبة ، وكان من نصيبه عشرين ألف ريال. بعد ذلك اليوم الذي حدثت فيه تلك القصة بيومين .

تاجر من تجار الكويت يخبرني أحد المشايخ عنه : أن هذا التاجر متواضع عابد يكثر من صيام النوافل ، عنده تجارات في أحد الموانئ في الهند ، فجاءه اتصال مرة يسألونه عن ماله ؟ يقولون : كيف حصل حريق لمن حولك من المتاجر أو من البضائع الموجودة حول بضائعك ، و بضائعك لم يأتها شيء ؟ فقال : أنا ولله الحمد مسلم أولاً ، و أزكي ، و أعبد الله ﷻ ، فهذا الذي حفظ مالي.

و كما ذكروا في بعض الحرائق في المملكة عن بعض الأسواق الشعبية القديمة احترق عدد منها ، و بقيت بعض الدكاكين لمن كان يزكي لم تُصب بشيء .

أحد التجار يصرف ماله للصدقات ، فيصرفه إلى فئة ريالات ، و خمسات ، و عشرات ، و يذهب بنفسه بسيارته ، و يقف عند عمال البلدية في ظهر و عصر رمضان ، في شدة الحر يوزع عليهم بيده ، و هذا التاجر لا يؤخر رواتب عماله ، حتى لو كان خارج البلد ، فلابد أن تُصرف بأسرع وقت .

فكرة طيبة يقوم بها أحد التجار ، و أعرفه ، بني بسببه عدد من المساجد ، الطريقة كما يأتي :

يأتي لحي ليس فيه مسجد و ليس عندهم أرض لمسجد يأتي لهم بالغرف المتنقلة (بورتابل) ، فيجعلها في ذلك الحي بالمكيفات و الصوتيات و العامل و المؤذن و الإمام و كل شيء ، فيجمع لهم كل شيء ، فيضع لهم هذا التاجر ذلك المسجد متكاملاً ، فإذا اجتمعوا و تعارفوا ، يرسل لهم من يخبرهم أننا سنأخذ هذا ننقله إلى مسجد آخر أو إلى حي آخر يحتاجونه . فإما أن تسارعوا باستخراج هذه الأرض و الجمع لها و البحث عن أحد التجار للبناء ، و إلا أخذناها منكم ، فيسارعون و يرتبون شئونهم ، ثم إذا رآهم قد بدئوا واقعياً بترتيب المسجد واستخراج التصريح له يترك المسجد عندهم ، حتى ينتهوا من المسجد ، فبنيت مساجد كثيرة بهذه الطريقة .

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

لا تحتقر ما تقدمه من الخير ، و إن قليلاً ، فالقليل عندك يعدُّ كثيراً في نظر المحتاجين. و المال و إن قلّ خير من الحرمان . فكون الفقير يأتيه ريال أو درهم ، أو دينار ، أو جنيه خير من الحرمان بلا شك .

اتق النار ولو بشق تمرة

لا تنس أخي الكريم أهمية المبادرة لفعل الخير ، و أن من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها إلى يوم القيامة .

الثلث كثير

قال كعب بن مالك رضي الله عنه لما تاب الله عليه ، قال: يا رسول الله إن من تمام توبة الله علي أن أنخلع من جميع مالي أخرجه صدقة لله و لرسوله. فقال ﷺ : **"بارك الله لك في أهلك و مالك ، فالثلث و الثلث كثير".**

فالثلث ، و الثلث كثير ، فلا أطلب من التاجر أن يخرج جميع ماله بعد ما يتوب من بعض التجارات المحرمة ، فيترك المال المحرم كاملاً و المال المباح ، لا أطلب منه ذلك . و إن كان بعض الناس لو كان يرضي الله نحر نفوسهم لفعلوه ، إذا تاب توبة صادقة لا يهتم بكل ما يأتيه بعد التوبة ، لكن أخرج كثيراً من المال ؛ لأن الصدقة تطفئ غضب الرب .

مع أبي عثمان المازني

و هو من علماء اللغة و النحو في زمن الدولة العباسية ، عالم من علماء النحو ، و فقير . جاءه رجل ذات يوم من أهل الذمة ، فطلب منه أن يتعلم عنده كتاب سيبويه في النحو ، واسم الكتاب : (الكتاب) ، فامتنع من التعليم ، و قال هذا الرجل الطالب للعلم : أعطيك مائة دينار حتى تعلمني . قال : أبداً .

فجاءه بعض الوسطاء ، و قالوا : أنت فقير ، و الضرورات تبيح المحظورات ، فقال : لا أمكن رجلاً من أهل الذمة يتعلم كتاب الله عز

وجل ، وفي كتاب سيبويه ثلاثمائة آية . الذي اضطره لرفض تعليم ذلك الرجل تعظيمه للقرآن و الآيات .

و بعد ، مدة جلس الخليفة الواثق العباسي مع عدد من الندماء ، و الأدباء ، و الشعراء ، و علماء النحو فتباحثوا في مسألة نحوية ، فلم يجدوا جواباً إلا عند أبي عثمان المازني . فلما أجابهم بهذا الجواب ، و أخبرهم بجواب مسألتهم ، قال الواثق له : قبل أن تخرج من بيتك ، ماذا قلت لأهلك أو لابنتك ؟ لأنه يعرفه أنه فقير . فقال المازني : قلت لابنتي : ثقي بالله ، و من عند الخليفة بالنجاح . فقال الخليفة : الثقة و التوكل على الله ، و علي النجاح . فأعطاه ألف دينار ، حيث ترك لله عز وجل مائة دينار ، فعوضه الله ألف دينار. فالذي يتعامل مع الله لا يخسر ، و لا يضيع ، و لا يندم . قال تعالى : ﴿ هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ﴾ الآية .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.